قراءة في ماهية
اللغة / اللهجة / اللكنة

أحمد إسماعيل إسماعيل

اللغة وتعريفها

تعريف عالم اللغويات والصوتيات الإنجليزي هنري سويت حيث اعتبر سويت أنَّ اللغة " تعبير عن الأفكار من خلال الحديث والأصوات إلى جانب الكلمات، وعملية الجمع بين الكلمات في جمل هي التعبير عن تلك الأفكار ".

كما أن اللغة هي استخدام الأصوات والكلمات بطريقة منهجية للوصول إلى المعاني والتعبير عنها، سواء من خلال الكتابة أو النطق، كما تتميز اللغة بكونها مجموعة من الرموز والمعاني المحكومة بسلسلة من القواعد والضوابط النحوية، فاللغة إذاً هي نظام اتصال مشترك بين فئة من الناس، يتمكنون بواسطته من التفاهم والتعبير عن أفكارهم عن طريق الكتابة والنطق

مفهوم اللهجة

اللهجة تؤدي نفس الوظيفة من حيث التعبير عن الأفكار بواسطة الكلمات والجمل، لكن اللهجة تعتبر جزءاً من اللغة أو نسخة محكية عن اللغة القياسية، حيث تجتمع عدَّة لهجات في لغة واحدة تكون أقل انصياعاً إلى القواعد اللغوية والنحوية، كما أنَّ اللهجة لا تكون مكتوبة ولا تدخل في نظم التعليم لأنها خالية من القواعد.
واللهجة أكثر خصوصية من اللغة كونها تميز فئة أضيق من الناطقين بلغة واحدة، حيث يتمكن الناطقون بالعربية من فهم بعضهم البعض لكنهم إن لم يتلقوا تعليماً خاصاً لن يتمكنوا من فهم الناطقين باللغة الألمانية مثلا
من جهة أخرى تكون اللهجة أكثر قابلية للتأثر بلغاتٍ أصلية أخرى، كتأثر اللهجة الجزائرية باللغة الفرنسية ، لكنَّ الجزائريين ما زالوا على معرفة باللغة العربية الأم على الرغم من صعوبة تواصلهم مع المشرق العربي لاختلاف اللهجة ، فلكلِّ لغات العالم لهجات متعددة مع اتساع رقعة استخدام هذه اللغة، فاللغة الإنجليزية على سبيل المثال تختلف في كندا عنها في بريطانيا .

لكن هذا الاختلاف هو اختلاف بين لهجتين تنتميان لنفس اللغة، علماً أنَّ اللهجة لا تكتفي بتغيير نطق بعض الحروف أو الكلمات، وإنَّما تتعدى ذلك إلى خلق مصطلحات جديدة بالكامل غير موجودة في اللغة الأصلية، فضلاً عن تبديل بعض المفاهيم لكلمات اللغة الأصلية نتيجة الاستعمال في غير الموضع الأصلي للكلمة؛ فكلمة (شاطر) في اللغة العربية الفصحى تعني المكَّار والخبيث، لكنَّها في أغلب لهجات بلاد الشام تطلق على الأطفال المجتهدين في الدراسة، كذلك كلمة (فوت) المشتقة من الفصحى (فات الشيء أي تركه وفات الأمر أي انقضى) لكنَّها تعني في بلاد الشام (ادخل) وهو المعنى المعاكس لاستخدام الكلمة السوداني والمصري، حيث تستخدم في اللهجة السودانية بمعناها الفصيح .

ما الفرق بين اللهجة واللكنة؟

اللكنة تتعلق بطريقة اللفظ وليس بتركيب الكلمة أو معناها، وغالباً ما تبرز اللكنة كانعكاس لطريقة لفظ اللغة الأمِّ على لغةٍ جديدة، أو تأثير اللهجة الأم على لهجة جديدة، فإذا حاول المصريون أن يتكلموا بلهجة أهل الشام ستكون اللكنة المصرية واضحة في طريقة لفظهم للكلمات الشامية ، لكن اللكنة لا تغير من معاني الكلمات ولا علاقة لها بخلق معانٍ ومصطلحات جديدة .

الفرق بين اللهجة واللغة

نظرياً هناك فروق واضحة بين اللغة واللهجة لا يمكن إخطاؤها، أبرزها أنَّ اللغة قياسية أو معيارية، بينما تكون اللهجة خاصة بفئة معينة بغض النظر عن عدد أفرادها، بمعنى أنَّ اللغة هي المتفق

عليها بين الناطقين بها وهي ما يتم تعليمها في المدارس ويفهمها الناطقون بلهجاتها بشكل جيد، فحرف القاف مثلاً من الأحرف التي تختلف كثيراً بين لهجات اللغة العربية، فالقاف في دمشق والقاهرة (آف) أما في الخليج العربي وفي صعيد مصر تلفظ القاف كما تلفظ الجيم المصرية
كما تتميز اللهجة الكويتية بحذف حرف الجيم (فتقول عن الرجال.. رَيَال)، لكنَّ هذه الاختلافات تختفي في المدارس والخطابات الرسمية، كما أنَّ جميع العرب يفهمون معنى الكلمة العربية الفصحى، فكلمة (دولاب) في سوريا تعني عجلة بينما تعني في مصر خزانة، لكن إذا قال السوري خزانة سيعرف المصري قصده، وإذا قال المصري عجلة سيعرف السوري قصده أيضاً، لذلك تعتبر اللغة قياسية ومفهومة من قبل جميع الناطقين بها بينما تعتبر اللهجة أكثر خصوصيةً من جهةٍ أخرى فاللغة أكثر استقراراً من اللهجة، على الرغم أنَّ اللغة تتأثر بتيارات معينة وتتطور بإضافة ألفاظٍ جديدة، لكن اللهجة سهلة الاختراق أكثر من اللغة، لأنَّ اللغة تبقى محكومة بمجموعة من القواعد والضوابط التي تفتقر إليها اللهجة، كما هو الحال مع أغلب اللهجات العربية التي تأثرت بالاستعمار الفرنسي والإنجليزي بينما كانت اللغة أقلَّ تأثراً

إستخدام العامية كلغة بديلة عن اللغة العربية

يطلق المتعصبون للعروبة وللغة العربية على التيارات التي تدعو إلى استخدام اللهجات (الانعزالية أو الشعبوية)، وقد برزت هذه الدعوات في عدَّة أقطار عربية دعت صراحةً إلى استخدام اللهجة المحكية في الكتابة والتدريس كلغةٍ مستقلةٍ عن اللغة العربية، فكانت

أبرز هذه الدعوات دعوة تيار اللهجة اللبنانية الذي بدأ مع مارون غصن عام 1929، ثم أخذ صداه مع دعوة الشاعر اللبناني الراحل سعيد عقل إلى استخدام العامية اللبنانية كلغة بديلة عن اللغة العربية، واستخدام الحرف اللاتيني بدلاً عن الحرف العربي، لكن هذه الدعوَّة لم تتمكن من تحقيق أهدافها، كذلك شهدت مصر تياراً يدعو إلى استخدام العامية المصرية في الكتابة بديلاً عن العربية الفصحى ..
علماً أن أغلب الداعين إلى استخدام اللهجات الدارجة بدل اللغة العربية الفصحى يبررون دعوتهم هذه بجمود الفصحى وخروجها من دائرة الاستعمال اليومي بشكل كامل، لكنهم أيضاً متهمون بمحاولة عزل دولهم عن المحيط العربي وتغذية الانعزالية القومية.

ختاماً

ما تزال اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد العربية على الرغم من خروجها من الاستعمال اليومي بشكل كبير، لكن بالتوازي مع سيطرة اللغة العربية ظهرت التيارات التي تنادي باللهجة العامية كلغة رسمية، كذلك محاولات إحلال الحرف اللاتيني مكان الحرف العربي التي أنتجت لغة الشات في الكتابة، وهي كتابة الألفاظ العربية الدارجة باستخدام الأحرف اللاتينية مع الاستعانة بالأرقام لتعويض الأحرف العربية التي لا مقابل لها في اللاتينية مثل القاف والصاد .

فن التربيع الشعري فن الواو

في فنون التربيع الشعري
اسماء رنانة / رهيبة / جليلة
والقائمة طويلة ... تنتهي بالأسطورة
" صلاح جاهين "
الذي قال فأصابنا الرعب والحيرة والشجن وحرك فينا الوجدان والفكر
ومن منا لا يذكر لصلاح جاهين نصا من رباعياته

اما الشاعر المصرى الكبير شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن عروس الذى كان يعيش فى مصر فى القرن الحادى عشر الهجرى، وهو صاحب مخطوط ديوان (قمع النفوس) من كلام ابن عروس .. وقد أطلق عليه هذا اللقب نسبة للعروس التى يقال إنها تسببت فى توبته عن قطع الطريق عندما اختطفها .
فقد ترك لنا إبن عروس المصرى مربعات شعرية تشير إلى شاعر كبير له أسلوبه المميّز وحسّه الشعرى المتفرد الذى لمس قلب الأشياء وتغلّل فى أعماق البيئة المصرية، وصاغ من مفردات لغة الحياة اليومية شعرًا راقيًا فى عبارات قصيرة موجزة مشبعة بالحكمة
ولا اشهر من
ولا بد من يوم معلوم
تتردّ فيه المظالم
أبيض على كل مظلوم
واسود على كل ظالم

وقائمة التذكر طويلة ... احببنا الإشارة اليها قبل الخوض فيما بين ايدينا لبيان لُجة مانخوض فيه

شخصية لا تنسى

في فن الواو فى العصر العثمانى الشيخ (عامر الأنبوطى) الذى قال عنه الجبرتى فى عجائب الآثار:
" الشيخ الصالح اللبيب الناظم الناثر عامر الأنبوطى شاعر مقلق هجاء لهيب شراره محرق، كان يأتى من بلده ليزور العلماء والأعيان، وكلما رأى قصيدة سائرة قلبها وزنًا وقافية إلى الهزل والطبيخ .
ومن نظمه (ألفية الطعام)على وزن ألفية
" ابن مالك"
يا طابخ الضأن اشتد
وأغرف أوانى وسيعه
عامر أتى لك و له يد
فى الأكل دايما سريعه
ماذا عن فنون التربيع الشعري...؟
من المعروف أن هذا الفن في تطوره قد إتخذ أشكالا عديدة ومسميات كثيرة .. فكان مااطلق عليه بالدو بيت ..والمواليا .. والمربع
والدو بيت القديم هو تربيع شعري ينقسم الي عدة انواع منها :
الرباعي المعرج / الرباعي الخاص / الرباعي الممنطق / الرباعي المردوف
الرباعي المعرج / يشترط في قوافيه الثلاثة أو الأربعة الجناس التام

مثل : الصارم من لحظة قطعنا (من التقطيع)
يامن بسنان رحمه قد طعنا (من الطعن)
في حبك لا يصيبه قط عنا (إي لايصيبه تعب)
ارحم دنفا في سنه قد طعنا (سنه كبير طاعن)
الرباعي الخاص / كل قافيتين متقابلتين بينهما جناس تام
الرباعي الممنطق / لايشترط الجناس
الرباعي المردوف / لايشترط الجناس
ولكن كل هذه تخضع لأوزان الدو بيت الثلاثة المشهورة وهي:

الأول : فعلن متفاعلن فعولن فاعلن
الثاني : فعلن فعلن مستفعلن مستفعلن
الثالث : بحر الرجز (مستفعلن مستفعلن مستفعلن)
ومن فنون التربيع الشعري إيضا مايسمي
(المواليا) وهو يتكون من أربعة اشطر مقفاة بقافية واحدة ويأتي علي وزن بحر البسيط
(مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)
اما النوع الثالث وهو مايهمنا هنا .. هو مايسمي (المربع)
وانواعه :
التام / اشطره الأربعة بقافية واحدة
الاعرج(الخصي) / الأول والثاني والرابع بقافية واحدة والشطر الثالث محررا من القافية
ويقول " يحي حقي " عن تركيبة هذا النوع
" قد يتوهم المتعجل أن أضعف بيت في الرباعية هو بيتها الثالث غير المقفى، ولكنه عمادُها. ففي البيتين الأول والثاني عرض لأوليات الموقف، وفي البيت الثالث ارتفاع مفاجئ إلى قمة . قد تبدو للنظرة

الأولى أنها جانبية ليتبعه فورًا من شاهق كأنه طعنة خنجر يختم بها البيت الرابع فصول المأساة
إن البيت الرابع هو دقة المطرقة على السندان بعد أن كانت مرتفعة في الهواء "
اما المربع المصري (أومااتفق عليه بفن الواو) يتفق الشطر الأول مع الثالث في قافية واحدة والثاني مع الرابع في قافية واحدة وتتوافر فيه مواصفات فن الواو من حيث الوزن والقافية والتورية ايضا
ماهو المضمون الفني للرباعية ..؟ بمعني هل كل مايقال مربعا موزونا يطلق عليه رباعية ..؟!
الاجابة هي : " الرباعية من ناحية المضمون لا بد أن تقوم علي نسق يعتمد علي إستكشاف المفارقة وإستخراج ملمح العجب والغرابة .. ولا بد أن تتسع العبارة بها إلي اكثر من دلالة .. وأن يتعدد فيها مستوي الايحاء "
إن الرباعيات هي أفضل القوالب للشاعر الفيلسوف الذي يريد أن يعرض علينا مذهبه ، في ومضات متألقة. او ينسج لنا نسجا في شكل العقد الذي يحوي فيه حبات من احجار كريمة مختلفة المياه ولكنها تنبع جميعًا من معين واح
وفي الختام .. ان فن التربيع الشعري فنا لايخوض غماره إلا واعي يملك فلسفة خاصة به مستمدة من تجارب متراكمة

أحمد إسماعيل إسماعيل
شاعر وناقد
عميد أسرة إضاءات نقدية